تحميض
محمد خضر

تحميض

محمد خضر

تحميض | محمد خضر

الطبعة الأولى 2018
ISBN: 978-1-912619-94-8

عدسة الغلاف | مكرم كريب
الإخراج الفنّي | رواشن

دار رواشِن للنشر
الإمارات العربية المتحدة
+971-549960800

الآراء الواردة تعبّر عن الكاتب، ولا تمثل بالضرورة رأي رواشن

Rawashen Publishing & Media Ltd | 71-75 Shelton Street
Covent Garden | London | WC2H 9JQ

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، ورقياً أو إلكترونياً، سواء بشكل كامل أو جزئي أو عرضه مجاناً عبر أي وسيلة وبأي شكل من الأشكال من دون الحصول على تصريح خطي من دار رواشِن للنشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of Rawashen Publishing House.

RawashenPub Rawashen
info@rawashen.com | www.rawashen.com

تحميض

محمد خضر

"لا تفكر الروح أبدا من دون الصور"

أرسطو

"الصورة الفوتوغرافية لا تستعيد الماضي. ولا تخلده، إنّ وقعها عليّ لا يمثل في استعادة ما زال وامّحى، وإنما في الشهادة على أنّ ما أراه قد تمّ وحصل"

رولان بارت ـ العلبة المضيئة

الألبوم

مرَّت أعوام وأنا أتصفح ألبوم صور قديمة
مرَّت أعوام بين كل صفحة وأخرى..
مرت أعوامٌ بتفاصيلها الدقيقة
بحكاياتها المحفوظة تماماً بجودة عالية
وبرغم الخدوش التي أصابت بعضها
إلا أنها واضحة تماماً
واضحة تلك الأسرار العميقة في الملامح
واضحة تلك الأحزان الأولى من لمعة العدسة في العين
واضحة تلك الابتسامات ذات العمر القصير القصير جداً
العمر الذي يمر بين الإصبع وزر الكاميرا
حتى هؤلاء الذين لم يلتفتوا إلى المصور أصلاً
الذين لم يكونوا مقصودين أبداً

بل ظهروا محض صدفة
ظهر جزء من أياديهم أو أرجلهم
أو تلويحاتهم من بعيد
أو تلك العواطف السائدة في ذلك الجيل
ولولا ملابسهم التي كانت تشفّ عن التاريخ
ونوعية الكاميرا لاعتقدنا أنها صور مزيفة
كانوا واضحين أكثر من اللازم
مرت أعوام بين العائلة، أصدقاء الطفولة،
الجامعة، وأولئك الذين لم أتعرف عليهم
بسهولة
الذين أخذتهم الحياة نحو ملامح أخرى
وتركوا لي أوجههم الأصلية،
كل صورة تقاوم لأجل أن تمتد صلاحيتها أكثر
تقاوم لئلا يطالها الحذف أو التمزيق
أو تستودع في المهملات،

صور لم تعُد تشبههم
صور لم أعد أشبهها،
صور حُفظت في غرفة في الدماغ
غرفة واسعة نستعيد منها الصور تماما كما
نريد،
أو كما يريد الوقع والأثر،
صور يمكن أن تُحذف وتستبدل بغيرها،
صور يمكن أن تُضمر في تلك الحجرة
أو تطمرها صور أخرى..
صور كأنما التقطت اليوم
حيث الحياة متوقفة في مكان آخر
صور لم تعد مجرد صور
كأنما هي الحياة برمتها
أحياناً أطوي صفحات من الألبوم بسرعة
تمضي سنوات في النسيان..

صورة جدّي

تقول أمي: يشبه فلاناً من ناحية الأنف
فلاناً من ناحية الطول
فلاناً في سحنة الروح
وهذا أمر يصعب رسمه
سوى بحركة العينين
وهما تحاولان صنع شعور ما..
لم يتسنّ لي مشاهدته
كنت لا أزال طفلاً
كانت الحكايات تجيء به
تنسج تفاصيلها صورته.. صوته في العرضة
ورائحة الأرياف في ثيابه
بعد سنوات
حين عثرنا على صورة نادرة له

كان حدثاً مهماً للعائلة
تناقلنا الصورة
حتى الذين كانت رغبتهم أقل
وكانوا يشعرون باللاجدوى
وجدوها فرصة أن يشاهدوا الرجل الخيالي
الذي طالما سمعوا عنه..
وأخذنا نستعيد القصص من جديد
نحلّل زوايا الصورة
نتوقع التاريخ والمناسبة
من طريقة لبس المعطف على الثوب
واستواء العقال على "الشماغ"
بينما يحدق فينا من بعيد
بثبات وحياد
كوخزٍ في الذاكرة.

حين لا تكفي الصور

"المقصود من صوَري أن تمثل شيئاً ما، أنت لا تراه"
إيميت غوين

:

بعد أن أرسل صوراً للأكلات الشعبية في الجنوب..
وأعاد لي قصة قديمة سمعتها منه مئات المرات
حول رجل كان يظن الطائرات الحربية طيوراً
تحلّق فوق الجبال في أوائل الستينات..
أخي أرسل اليوم صوراً عديدة للمطر
ومع أن تحميلها لم يكتمل
إذ تضعف شبكة الانترنت عندما يصل إلى 30٪
من المتبقي..
إلا أنها كانت واضحة
تدعمها العواطف الجينية المشتركة..
أخي المسافر الأبدي المغرم بالمعلومات الصحيّة

يسردها كل يوم مفشياً أسرارها وطرائق
علاجها..
ومع أنه لا أحد يعرف مكان الطحال تماماً
إلا أنه يطنب حين يصل إلى هذه الفقرة من
الجسد..
ثم في آخر الليل وحين نناقش أموراً عائلية
وخاصة..
عن المسافة والحنين والدراسة والوفيات الذين
تركوا وردة في القلب والنبتة الغريبة التي
طفحت من أصص الغرانيت..
والتي قال مرة إنها قد تكون نبتة شيطانية..
يشعر بالنعاس..
يرسل عبارة صرت أظنه ينسخها من محفوظات
الموبايل لفرط ما يكررها:
كل ما في الأمر أننا نشتاقكم أيها الأوغاد.

صورة 1983 ـ الوخز

على ظهر الصورة كتب العام 1983..
كـنتُ صـغيراً، أصـغر مـما كـنت أظن، وأطـول بقليل من طاولة التلفزيون، كانت هدية ثمينة، هــكذا شــعرت! تستعيد مــعي الألــعاب والحكايات، وتلمس الذاكرة بشيء ناعم، حتى لو كانــت تلك الأوقات التي فضّلت فيها الــلعب وحـيداً، ربما لأن الآخرين عجـزوا عـن فهم لعبتي كما أريد..
عـالـم مـن قطع الـشمع التي تُجسّد الـحيوانات الألـيفة والــمتوحــشة تتحــدث إلــى بعضها.. تــتعارك.. ولـم أكـن أرغب في أن يكتشف أحـد أنني أسـمي الأسـد باسـم فلان، والحـمار باسـم فلان، والكانــغرو.. إلــى آخر تلك الــحيوانات الناطقة التي تعرّي الحياة..

هذا الطفل أعرفه جيداً..
برغم أنني لأول مرة أشاهده بهذه الجودة...
الصورة اختبأت كثيراً في ألبوم ضخم،
قالت أختي الكبرى شيئاً عن مناسبتها،
عن الغيمة في العينين،
والتراجيديا الحادة في الملامح،
عن الياقة
والشعر الذي غادر بعدها محتجاً على الذاكرة،
كنت أشاهد امبراطورية ألعابي في غرفتي
القديمة،
أشاهدها كما فعل رولان بارت
وهو ينظر لعيني جيروم في الصورة ويصرخ:
"إنني أشاهد العينين اللتين شاهدتا
الامبراطورية"،
نفس الوخز.. نفس الافتتان
بأن هنالك ما هو أكثر من مجرد لقطة..

يمكنكم شراء الكتاب الورقي كاملاً من متجر رواشن الإلكتروني
www.rawashen.com

تحميض

في ذكرى أول شباك
تفتحه بيديك..
أول مرة عرفت فيها
كم من الأجنحة فيك..
وطِرتَ..
طِرت عالياً،
ولم يصدقك أحد..

محمد خضر شاعر من السعودية، حصل على جائزة الرواية السعودية 2013. محرر في الملحق الثقافي لصحيفة الاتحاد الإماراتية 2009-2014. أصدر عدداً من المجموعات الشعرية والإبداعية.

9 781912 619948

دار رواشِن للنشر
www.rawashen.com